محاضرة رقم 05: السكان في العالم: النمو السكاني ومراحله

يُعدّ النمو السكاني من أبرز الظواهر التي حظيت باهتمام كبير منذ القدم، لما له من تأثير مباشر على حياة الإنسان وتطور المجتمعات. فقد سعى المفكرون والعلماء إلى دراسة تطور عدد السكان والعوامل المؤثرة فيه، إضافة إلى نتائجه المختلفة على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والبيئية. وفي ظل التغيرات المتسارعة التي يشهدها العالم اليوم، تزداد أهمية فهم هذه الظاهرة وتحليل آثارها، لما لذلك من دور أساسي في التخطيط للمستقبل وضمان تحقيق التنمية المستدامة.

1) المسألة السكانية عند القدماء

اهتمّ القدماء بدراسة الظاهرة السكانية منذ عصور مبكرة، إذ تشير المصادر التاريخية إلى أن العراقيين القدماء كانوا أول من أجرى تعدادًا سكانيًا في العالم قبل نحو خمسة آلاف سنة، وكان ذلك بدوافع عسكرية في المقام الأول لمعرفة عدد المحاربين، ثم بدوافع اقتصادية لاحقًا.

كما عرف المصريون القدماء التعداد السكاني، حيث أُجري في عهد الملك مينا مرة كل سنتين، ثم أصبح يُنفَّذ تقريبًا مرة كل سنة. كذلك اهتم الرومان بهذه العملية، وكانوا يجرون التعداد كل خمس سنوات.

وقد تناول العديد من المفكرين والفلاسفة قضية السكان بآراء مختلفة، من بينهم كونفوشيوس في الصين، وأفلاطون في اليونان، وابن حوقل وعبد الرحمن بن خلدون في الحضارة العربية الإسلامية.

فقد حدّد كونفوشيوس (551–479 ق.م) العوامل المؤثرة في نمو السكان، مثل سن الزواج وتكاليفه، وتوفر الغذاء، إضافة إلى الصراعات والحروب، كما شدّد على أهمية التوازن بين عدد السكان ومساحة الأرض.

أما أفلاطون (427–347 ق.م) فقد وضع تصورًا لعدد مثالي لسكان المدينة، قدّره بحوالي 5040 فردًا من الأحرار وفق تقسيم العمل الذي اقترحه، ودعا إلى الحفاظ على هذا العدد؛ فإذا انخفض، تُشجَّع الزيادة السكانية بالحوافز المالية، وإذا ارتفع، تُتخذ إجراءات للحد منه.

ومن جهة أخرى، ابتكر ابن حوقل طريقة لتقدير عدد السكان، وذلك من خلال حساب عدد المصلين في المساجد والكنائس في صقلية.

2) مالتوس ومسألة النمو السكاني (1766– 1834م):

قدّم توماس روبرت مالتوس رؤية متشائمة بشأن النمو السكاني، إذ اعتبر أن عدد السكان يزداد بوتيرة أسرع بكثير من إنتاج الغذاء. ويرى أن هذا الاختلال يؤدي إلى حدوث فجوة غذائية داخل المجتمعات، مما يسبب انتشار سوء التغذية والمجاعات، وقد يفضي أيضًا إلى اندلاع صراعات داخلية وخارجية.

ولتفادي هذه النتائج السلبية، دعا مالتوس إلى ضرورة تحلّي الإنسان بالوعي والمسؤولية، من خلال تأخير سن الزواج إلى حين القدرة على إعالة الأبناء وتوفير احتياجاتهم الأساسية.

3) أهمية دراسة ظاهرة النمو السكاني

تتمثل أهمية دراسة النمو السكاني في الوقت الحاضر في التعرف على عدد السكان الحالي، والتنبؤ بتطورهم مستقبلاً من حيث الحجم والتركيب (مثل الأطفال، الشباب، الكهول، والذكور والإناث). ويساعد ذلك على التخطيط السليم لمختلف جوانب الحياة، فمن خلال هذه المعطيات، يمكن تقدير حجم قوة العمل المستقبلية، وعدد القادرين على الدفاع عن الوطن، إضافة إلى تحديد الاحتياجات المرتقبة من المشاريع التنموية والخدمات الأساسية، فعلى سبيل المثال، إذا تم تحليل النمو السكاني في منطقة معينة، يمكن التنبؤ بعدد الأطفال بعد عدة سنوات، كست سنوات مثلاً، مما يتيح للجهات المعنية معرفة عدد الأقسام الدراسية التي يجب توفيرها، وضمان جاهزية المؤسسات التعليمية لاستقبالهم.

4) الدراسة الكمية لظاهرة النمو السكاني

-مصادر الإحصائيات السكانية من مصادر البيانات السكانية نذكر:

1. التعدادات السكانية العامة

تقوم حاليا معظم دول العالم بعد السكان الذين يقيمون على أراضيها، وذلك بصفة دورية، وعادة ما تتم العملية كل عشرة سنوات، وفي بعض الدول الميسورة تتم العملية كل خمس سنوات، فالجزائر المستقلة مثلا عرفت تعدادات سكانية خلال سنوات 1966 ، 1977، 1987 ، 1998 و 2008. وتقوم بهذه التعدادات هيئات حكومية في الجزائر مثلا يقوم بالتعداد الديوان الوطني للإحصاء.

2. السجلات الحيوية

هي عبارة عن سجلات خاصة يدون عليها حالات الميلاد والوفاة وغيرها من المعلومات الديموغرافية كحالات الزواج والطلاق.

3. سجل السكان

سجل خاص بالسكان، وهو طريقة لجمع البيانات الديموغرافية حول السكان، تعتمده بعض الدول فقط، على غرار الدول الاسكندينافية، حيث يفتح ملف في هذا السجل لكل مولود جديد يدون فيها جميع البيانات الخاصة به وينتقل معه أثناء تغير محل إقامته ويغلق بوفاته.

4. المسح بالعينة:

عندما تكون البيانات غير متوفرة في المصالح الإدارية المختلفة أو غير محينة، يلجأ الباحثون إلى المسح بالعينة لرصد ظاهرة ديموغرافية معينة، وتقضي هذه الطريقة باختيار جزء عشوائي من مجتمع الدراسة، وطريقة المسح بالعينة تتطلب شروطا معينة لتكون معبرة عن مجتمع الدراسة.

5) من أين نحصل على البيانات السكانية؟

❖ مؤسسات وهيئات دولية وإقليمية

✓ هيئات الأمم المتحدة المهتمة بالسكان

✓ اللجنة الاقتصادية الأوروبية

✓ منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية

✓ مكتب الإحصاء الأوروبي ... الخ

❖ مؤسسات وهيئات وطنية ومحلية

✓ الديوان الوطني للإحصاء ONS(ONS.DZ)

✓ مديريات البرمجة ومتابعة الميزانية في الولايات(DPSP)

✓ سجلات الحالة المدنية في البلديات ...

6) مراحل النمو السكاني:

❖ المرحلة الأولى:

حيث يوجد موازنة بين الوفيات والولادات، ولكن يكون المجموع السكاني منخفضًا، وذلك بسبب ارتفاع معدلات الولادات، وهي تمثل 36 أو 37 من ألف شخص ويرافقه ارتفاع في معدل الوفيات، والتي تمثل 35 أو 36 من ألف شخص، وعادةً ما تكون البلدان في هذه المرحلة غير متطورة.

❖ المرحلة الثانية:

يبدأ معدل السكان الإجمالي بالارتفاع، وذلك بسبب انخفاض معدل الوفيات إلى حوالي 18 أو 19 لكل 1000 شخص، في حين يبقى معدل الولادات مرتفعًا، ويعود السبب في انخفاض الوفيات إلى عدة أسباب، واذكر منها ما يلي:

✓ تحسين الرعاية الصحية الطبية، كاللقاحات، وزيادة كميات الأدوية، بالإضافة لتواجد الأطباء المختصين.

- ✓ تحسين نوعية الغذاء، وتوافره بكميات مناسبة.
- ✓ تحسين الإمدادات المائية.

❖ المرحلة الثالثة:

يرتفع إجمالي السكان في هذه المرحلة بسرعة كبيرة، حيث تتوسع الفجوة بين الوفيات والولادات، فيكون معدل الوفيات في انخفاض، وهو ما يقارب 15 لكل ألف شخص، بالإضافة إلى انخفاض معدلات الولادة بسرعة كبيرة، وتصل إلى 18 لكل ألف شخص، وذلك نتيجة بعض الأمور، والتى تتضمن ما يلي:

- ✓ زيادة استخدام وسائل تنظيم الأسرة.
- ✓ إقبال النساء على العمل، والإنجاز خارج المنزل، فلم تقتصر مسؤولياتهن على المنزل ورعاية الأطفال فقط.
- ✓ انخفاض عدد وفيات الأطفال الرضع، مما أدى لقلة الحاجة إلى الإنجاب من جديد.

❖ المرحلة الرابعة:

حيث يرتفع المجموع السكاني بنمو بطيء، مع انخفاض في عدد الولادات 15 لكل 1000 شخص، وذلك نتيجة رغبة العائلات في امتلاك أسر صغيرة، وانتشار وسائل منع الحمل على نطاق واسع في العالم، مع انخفاض أيضًا في معدل الوفيات 12 لكل 1000 شخص.

❖ المرحلة الخامسة:

وفيها يبدأ النمو السكاني في الانخفاض، بسبب انخفاض الولادات إلى 7 لكل ألف شخص، بينما يبلغ معدل وفيات 9 لكل ألف شخص، ويحدث ذلك نتيجة سيطرة سن الشيخوخة على السكان.

7) نتائج النمو الديموغرافي:

تترتب عن ظاهرة النمو الديموغرافي مجموعة من النتائج المتنوعة، يمكن تلخيصها فيما يلي:

*يساهم في استمرار النسل البشري وضمان بقاء المجتمعات.

*يؤدي إلى زيادة عدد السكان، وذلك تبعًا لمعدل النمو الديموغرافي.

*يساهم في تجديد قوة العمل من خلال رفد سوق العمل بفئة الشباب، كما يؤدي إلى توسيع السوق الاستهلاكية نتيجة تزايد الحاجات الغذائية والصناعية والترفيهية.

*يسبب ضغطًا متزايدًا على الموارد الطبيعية مثل الأراضي الزراعية، والمياه، والمعادن.

*يؤثر سلبًا على البيئة، من خلال تقلص المساحات الغابية وتدهور بعض المناطق الطبيعية كالشواطئ.

*يؤدي إلى توسّع العمران البشري، سواء عبر زيادة المساحات المزروعة أو المبنية، إضافة إلى توسع شبكات الطرق والسكك الحديدية.

* وفي حال تسارع النمو بشكل كبير، أي ما يُعرف بالانفجار الديموغرافي، فإنه يرفع الكثافة السكانية وقد يعرقل تنفيذ مخططات التنمية الاجتماعية.

المراجع المعتمدة:

- حاجي فاتح، (نمو السكان ومراحله)، مقياس: الجغرافيا البشرية، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، جامعة محمد خيضر –بسكرة، د–س، ص ص 2–11.
- نبوغ صالح: ماهي مراحل النمو اسكاني التي مر بها العالم، يوم الجمعة، على الساعة 21:43، من الموقع الإلكتروني: https://www.arageek.com